وراء الغمام

نظم الدكتور ابراهيم ناجى، ٢٠٠ صفحة ١٢ × ١٦½ سم. جامعاً ٥٠ قصيدة
مع تحية شعرية للدكتور أبى شادى وتصدير بقلم أحمد الصاوى محمد
طبع بمطبعة التعاون بالقاهرة . وثمنه ٥٠ مليماً

لست أدرى أمن لباقة الشاعر أم من لباقة الظروف وإحسانها إليه أن يظهر ديوانه بين هذه الدواوين الكثيرة التى ظهرت فى هذه الأيام حتى يظهر بمعاصرته ومصاحبته لها فى الزمان والمكان فضله ، وحتى تتبين بموازنته بها مزاياه ومواضع الابداع فيه .

وأنا أعتقد على كل حال أن الشعر قبل أن يكون مرآة عامة لبيئة الشاعر وصورة صادقة للعصر الذى يعيش فيه يجب أن يكون مرآة خاصة لعواطفه وصورة واضحة لنزعاته واتجاهاته الفكرية فى هذه الحياة . ولقد توافد على المكاتب المصرية فى هذين الشهرين كثير من الدواوين الشعرية التى تقرؤها ثم تسيء قراءتها فلا تستطيع غالباً أن تتبين من خلالها شخصية أصحابها ولا مايريدون أن يتحدثوا به الى قارئيهم. وبين يدىّ الآن أعشاب أبى الوفا أقرؤه فلا أراه قد انتظم غير طائفتين من الشعر : طائفة يصور فيها احساس الناس ويسجل عواطفهم فهو فى ذلك آلة متحركة تدور مع مطالب الحياة وضرورات العيش . وأما الطائفة الثانية فهى كما صرح زميلنا الصيرفى أفكار أناس وأخيلتهم ما بين عربية ومترجمة اطلع عليها الشاعر فاستعارها ونظم منثورها وشوّه منظومها حتى ضاعت معالمه . ولو انتقلت الى « ديوان الماحى » لما وجدت منه غير خصوصيات لا تهم القراء ولا صلة لها بهم فهو يستعطف أبويه ويهنىء سعاد كبرى بناته فى ص ١١٨ ثم يرثى صغراهن فى ص١٢٠ ثم يذكرها بعد موتها فيرثيها مرة أخرى فى ص ١٣٤، وإن كان فى الديوان شىء آخر فهو دموع أناس

وابتسامات آخرين وتصوير لحوادث الزمن نظماً بعد تصويرها تصويراً شمسياً ، فهو يرثي هؤلاء الموتى : أحمد شفيق والدكتور أحمد فؤاد وعبدالحليم المصري وشوقي وفؤاد وحجاج وداود بركات . وهو يهنيء في هذا الديوان أبا الوفا في ص ٩٧ ثم يهنئه ثانياً في ص ١٠٢ ويهنيء كذلك كامل كيلاني ويمدح زكي باشا ورابطة الأدب وغير ذلك مما لا يدع في نفسك شكاً في أن الشاعر كان حريصاً على المناسبات العرضية يرقبها حتى تحين فيسجلها ويصوّر لها صورها . واذا كان الأدباء والشعراء لا يرضيهم هذا النوع من الشعر فان المؤرخين لا يرون مانعاً من احتسابه كتاباً من كتب التاريخ المصوّرة . أما نحن فلا نريد أن يكون شعراؤنا آلات تسجل أحزان الناس وسرورهم ، لا نريد أن يبتذل الشعر وهو أسمى الانتاجات الفكرية في تحقيق مطالب الحياة وما أكثرها ، ولا نريد أن نأخذ صور غيرنا فيحدث فيها من التشويه والتضليل ما يبعدها عن أصلها ثم ننسبها لأنفسنا كما يفعل أبو الوفا [1] وأمثاله من الشعراء . واذا كان ثمة شعر ينمّ عن صاحبه ويشف عن إحساسه فذلك هو شعر ناجي ومن كان على شاكلته من الشعراء المطبوعين . نقول هذا وبيدنا ديوانه ، أقرؤه فأرى من خلاله صاحبه كأنما يجلس إليّ ويحادثني في صراحة وجلاء ، والذين ستتاح لهم قراءة هذا الديوان سيرون معي أنه مرآة لعواطفه وصورة مطابقة لوجدانه .

وأول الظواهر الواضحة في شعر ناجي هي الرقة والحنان حتى ليخيل اليك أن هذا القلب لم تطرقه القسوة ولم يعرف الجفاء اليه طريقاً . فهو رقيق في حبه ، تمنعه الرقة أحياناً من عناق الحبيب إشفاقاً عليه من حرّ أنفاسه ، واسمعه حين يقول :

غير أني كلما امتدت يدي ... لعناق خفت أن تؤذيك ناري !

وأحسب أن شاعرنا قد تأثر في هذا المعنى بقول المتنبي :

وكشفن عن برد خشيت أذيبه ... من حر أنفاسي فكنت الذائبا

وقد نعته الدكتور أبو شادي من قديم (بشاعر اللهفة) لأنها الصفة البارزة في شعر ناجي : شاعر الحب المشتعل ، حتى جعل الدكتور أبو شادي تحيته لناجي تحية لذلك

---

(١) لعل من أغرب الأمثلة لجراءة صاحبنا تهجمه على مترجمات بول جيرالدي واستيعابها في قصيدة «حلم العذارى» ولكن لا عجب في ذلك ما دام هو يسرق من نفس معاصريه من شعراء العربية ولا من يحاسبه الاّ نادراً !

الحبّ المشتعل الذى قامت عليه الحياة منذ بدء الخليقة ، وهذا الحبّ المشتعل هو القوة الالـهية المحيرة التى تتوارى خلف العبقرية ، وهـذا الشعر الإلـهى الساحر الفاتن الذى نعرفه ونعجز عن تعريفه هو الذى يُجنّ به الفنّانون حتى قال الدكتور أبوشادى فى تحيته لناجى :

مفاتنُ : سِحرُ العبقرية بعضُها فماذا وراء العبقرية لا يُسْمَى ؟ !
لئنْ عُدَّ حُبّى من جنونٍ ونشوةٍ فللفنّ حُمّى لن تقاسَ به الحُمّى !

وهذه تحية الفنان الخالص المحبة الى أخيه الفنان .

وناجى رقيق رحيم القلب تبكيه رؤية الفقير فى كفاح وكدّ على القوت وبجانبه الغنى تنهب سيارته الفخمة الأرض نهباً فيقول :

وارحمتاه للقوىّ الصبورْ يقضى الليالى فى كفاحٍ سخيفْ
وكيف لا أبكى لكدح الفقيرْ أقصى مناه أن ينال الرغيفْ ؟!
وهـذه السيارةُ العاتيـهْ ودبُّها الجبارُ كالبرقِ سارْ
ما هى إلا شُعلٌ فانيـهْ نضيئها مثلَ شعاعِ النهارْ

ولعلّ أوضح مظهر لهذه الرقة التى حـدثتك عنها هى قصيـدته وداع المريض وفيها ترى الشاعر كيف حزن على مرض حبيبه وكيف كان يبكى حين يناديه باسمـه فيقول :

يا هاتفاً باسمى فُديتَ منادياً ردّ النداء عليه حرّ نواحى !

وكيف بات يرعاه طول الليل بجفن صاح بين الألم والبكاء فيقول :

وموسّدٍ كالليـل صاحِ جفنـه أمسيتُ أرعاه بجفنٍ صاحِ
أى الليالى العاتيات سهرتها فى أى آلام وأى كفاحِ ؟!

وقد يتراءى لك من خلال الديوان أن ناجى محب وأن هذا الحب قد طغى على إحساسه وظهرت له نتائج غريبة فى شعره ـ فقد يحصـل على الحبيب وقد يؤمن بالحصول عليه فيفرح بهذا الإيمان ويقول :

ما أعجب الايمـان يغمر خاطرى كالفجر قد غمر السماء وئيدا
مزقت شـكى فاسترحتُ لأعينٍ علمننى الايمانَ والتوحيدا

وقد تعروه بعد ذلك دهشة اللقاء ، وقد ينقلب الإيمان السابق شكاً فى هذا النعيم ،نعيم اللقاء وسعادة الأمل المحقق فتسيل دموعه فى حضرة الحبيب كما كانت تسيل فى غيابه فيقول :

تجرى الدموعُ وأنت دانٍ واصلٌ ... كمسيلهنّ وأنت فى الغيابِ
أنكرت بى نارى عشية لامست ... شفتاى منك أنامل العنابِ
وجرت يمينى فى غزير حالكٍ ... مسترسل كالجدول المنسابِ !

والبيتان الأخيران يصوّران لك جمال هذه المقابلة الذى ينسى فيها الشاعر نفسه فبدأ يلثم يديها تارة ويُجرى يديه فى فروعها تارة أخرى كما يفعل المضطرب المرتاب ـ واستمع اليه حين يتشكك ويتساءل بين الحيرة والعجب وهو فى حضرة حبيبه فيقول :

من أنت ؟ من أى العوالم ساحرٌ ... مستأثرٌ بأعنة الألبابِ
ما يصنع الملك الطهور بعالم ... فانٍ وأيامٍ كلمع سرابِ ؟
ما يصنع الأبرار بالأرض التى ... ساوت من الأبرار والاشرارِ ؟

وسترى أن الرقة التى هى أظهر ميزاته ستلازمه حتى حين يطلب الى الحبيب وصاله ، فهو لا يقسو عليه ولا يهاجم جماله وانما يستجديه الرحمة ويستحلفه أن يعطف على فمه الظامىء وقلبه المعنى له فيقول :

قل للبخيل اذا ما عزّ مشربه ... يا مانعَ الماء عنى كيف تمنعه ؟!
أنا شهيدك والقلب الضحوك اذا ... أدميته والمغنى إذ تقطعه !

واذا زاد عن ذلك فقد يستندى قلب الحبيب بالبين الآزف والوداع العاجل والغد المقطوع فيقول :

هاتِ أسعدنى ودعنى أسعدكْ ... قد دنا بعد التنائى موردكْ
فأذقنيه فانى ذاهبٌ ... لا غدى يرجى ولا يرجى غدكْ !

وقبل أن نغادر تحليل هذه الناحية ،ناحية الحب والغرام من نفس ناجى ، نسجل له اعترافنا له بميزتين هامتين :أولاهما اخلاصه فى حبه حتى ليقدم نفسه قرباناً لحبيبته ويبذل مهجته فداء نواظرها، يدلك على ذلك قوله :

قدمت قربانى اليك بقيـة من مهجة ضاعت على الأحبـاب
وأذبتُ جوهرها فداء نواظر قدسية علوية المحراب

وتراه فى موضع آخر يعتقد نفسه مذنباً للحبيب فيتوب عن ذنوبه توبة الحريص على مودته ويرى فى لقائه كل آماله فيقول :

فيا أملى النـائى إذا كنت مذنباً فقد تبت عن ذنبى اليك بآلامى !

وأى إخلاص أبعـد من أن يتصور الشاعر أن حبيبه هو الكون بأكمله وهو الحياة بأجمعها فيخاطبه قائلا :

لكنّ حبك يجرى فى صميم دمى أنت الحياةُ وأنت الكون أجمعُه !

أما المزية الثانية فهى عفة وقناعة ، فهو يقنع من حبيبه بالنظرة السريعة وباللقاء الخاطف ويعدّهما منتهى آماله فيقول لحبيبه :

ودّعتُ ما أشبعتْ لى روحى ولا نظرى النّهمْ !

فاذا عزّ عليه هذا قنع بالحلم اللذيذ يهبط بذاكرته ليلاً ، واكتفى بالطيف يمر بخياله ، ويعتب الى حبيبه ذلك فيقول :

إن لم يكن لى رجاء ولا لطفّى مغنم
أو لم يصل لى نصيبٌ دعنى بحسناك أحلمْ !

وقد يحوم هذا الحلم ويمر عليه حتى ذلك الطيف فيتعلل بالأمانى ويقنع بالأوهام وإن كانت كذباً وتلك أسمى درجات الحب وأعلى مراتب الصفاء والاخلاص. واستمع اليه إذ يقول :

تعال اسقنى خمر المواعيد والرضا وخل الأمانى البيض تغمر أسقامى

هذه أبيات قليلة أعتذر للشاعر فى اجتزائها واعتذر للشعر فى انتزاعها من قصائدها ، بيد أنى فى هذا الديوان على وجازته قصائد رائعة رأيت من الغبن لها أن أقتبس منها أبياتاً دون غيرها ، أقف الآن منها موقف الاعجاب والتقدير ، وهذه القصائد جارى الشاعر فى نظمها غيره من الشعراء المعاصرين الا انهم لم يلحقوه ولم يقاربوه كالبحيرة وصخرة الملتقى ، وتفرد بنظم الباقى كالتذكار ودعاء الراعى والميت الحى والعودة ، والقصيدة الأخيرة أذكر أنى قرأتها فى أربع مجلات مشهورة كانت فى مقدمتها (أبولو) .

والذى أعتقده الآن بعد هذه النظرة العجلى أن شعر ناجى أظهر ميزاته هى الرقة والسهولة كما حدثتك آنفاً ، نظمه صاحبه وهو جالس الى مكتبه أو متكىء على مقعد سيارته أو واقف يتفقد مرضاه . وتقرؤه أنت كذلك فى المركبة وفى القطار وفى الحديقة من غير أن تحمل معجماً أو تقف عند كلمة غامضة أو أسلوب مبهم . أما الموسيقية فى شعر ناجى فهى واضحة فى كل بيت ، غير أنك لأول نظرة تجزم بأنها موسيقية طبيعية لم يقصد اليها الشاعر ، وانما أوحى بها ذوقه الموسيقى وإلقاؤه لقصائده ذلك الالقاء الممتاز الذى يزيد قصائده عذوبة وقوة فى نفس سامعيه . وهو إذ يتحرر من القافية المتحدة فى شعره يريك إبداع الشاعر الحر وعبقريه الفنان الطليق .

وكثيراً ما كان يلجأ لذلك اذا فاجأته المناسبات أو باغتته الحوادث ، وترى ذلك واضحاً فى أول قصيدة رثى بها شوقى فقد نظمها فى يوم الوفاة — واذا التزم القافية المتحدة لم تر فى شعره عجزاً ولا تلمح عليه تكلفاً ولا قصوراً وكأنما خلقت كل قافية لمكانها وظلت باحثة عنه حتى جمع الشاعر بينهما .

وخير نصيحة أسديها لمن يريدون أن يقرءوا الأدب الغربى فى أثوابه العربية الخالصة أن يتلمسوه منبثاً فى شعر ناجى ويقرءوه مستقلاً فى القصائد الآتية :

البحيرة — دعاء الراعى — الليالى — التذكار

وإذا كنا الآن فى عصر أصبحت تُفرض فيه دواوين الشعر البالى على القراء فرضاً كما تفرض أوراق النصيب وتذاكر الحفلات فيتصفحها القارىء مضطراً ، فحسب ناجى من شعره انه يمتزج بنفسك وتشعر عند قراءته باحساس خفى قد شعرت ووصل ما بينك وبين ناظمه وتحسّ بجاذبية غريبة قد تحملك على أن تسعى الى صاحبه وتتعرف الى شخصه — واذا أتيح لشاعر أن يتصل بأرواح قارئيه اتصال ناجى ويخاطب شعورهم وعواطفهم مخاطبته فقد بلغ الغاية من شعره وأدى رسالة فنه الى الناس كاملة ، أما أن يرضى جميع الناس عن الشاعر من جميع نواحيه فتلك غاية لا تدرك والذين يحاولون ذلك انما يعللون أنفسهم بالأوهام ويلتمسون المحال ، فذلك ضد طبيعة الحياة نفسها !

طلبة محمد عبده

رسائل النقد

الرسالة الأولى : شعر العقاد ، بقلم الدكتور رمزى مفتاح ، مع مقدمة بقلم جبران سليم ، ١٤ × ١٩½ سم . مطبعة الأخاء بالقاهرة
الثمن ٨٠ مليماً

لا تُذكر النهضة التجديدية فى الشعر العربى الحديث الا مقترنةً باسم باعثها وإمامها الأول الشاعر الأشهر خليل مطران ، فقد ذاعت رسالته الرومانطيقية منذ سنة ١٨٨٤ م . كما يحدّثنا الى الآن الشيوخ من أقرانه ومريدوه العديدون وكما تحدّثنا آثاره نفسها . وإذن فقد سلخ الرجلُ نصف قرنٍ وهو يقرض أسمى الشعر الحديث هادياً معلماً حتى كوّن مدرسة للشعر العربى لم يُحلم بمثلها من قبل فى أى عصر من عصوره الزاهية وقد تأثر بأدبه الكثيرون من المجددين فى العالم العربى وقامت على تعاليمه جماعة أبولو .

لقد أنضج مطران وحدة القصيد العربى ، وقد أبدع آيات القصص ، ونادى بالطلاقة فى النظم ، وحارب الصناعة السخيفة ، وعزّز النواحى الفنية فى الشعر أيما تعزيز . وأنجب أدبُ مطران من أحرار الشعراء فى مصر زمرةً ما يزال يشار اليها بالبنان . وفى مقدمة هؤلاء الشاعران المصريان أبوشادى وشكرى ، والشاعر اللبنانى خليل شيبوب . وقد صدرت الدواوين الأولى لمطران وشكرى وأبى شادى فى أوقات متقاربة (١٩٠٩ — ١٩١٠) ونالت جميعها تحيات شاعر النيل المرحوم حافظ ابراهيم بك لروحه السمحة الطيبة . فأمّا مطران فقد اكتفى بديوانه الأول وإن بقى الى الآن على نشاطه وانتاجه الفنى العجيب ، وأما أبوشادى فقد اضطر اضطراراً الى مغادرة مصر فى سنة ١٩١٢ وبقى مغترباً عن وطنه أكثر من عشر سنين ضاع فى خلالها الكثير من مخطوطاته الأدبية . وأما شكرى فهو الوحيد الذى بقى ينشر آثاره الشعرية الرائعة من سنة ١٩٠٩ إلى سنة ١٩١٩ وقدر أصدر فى هذه المدة سبعة دواوين قيمة ، ثم تغلب عليه الاشمئزاز من البيئة المصرية ومن جحود صحبه فطلق نشر الشعر وإن لم يطلق نظمه لنفسه ، فهو بحقٍّ زعيم المجددين من المصريين فى ذلك العهد ، وهو أول من أدخل الشعر المرسل فى العربية كما أن أبا شادى أول من أدخل الشعر الحرّ فيها .

وعاد أبوشادى الى مصر فى سنة ١٩٢٢ فاستأنف ومريدوه حركة النشر لآثاره الأدبية وتعاونوا على تثقيف الشباب ، وهكذا نرى أنه وشكرى تناوبا التأثير فى النهضة الشعرية الحديثة : فنشط شكرى فى غيبة أبي شادى ، ونشط أبوشادى فى اعتزال شكرى ، وقاما بينهما بالرسالة الفنية العليا التى حمل مشعلها مطران منذ نصف قرن والتى تزجيها الآن الى الأمام مدرسة أبولو .

وقد تتلمذ على أبي شادى وشكرى كثيرون ، وفى مقدمة تلاميذ شكرى العقاد والمازنى ، فلمّا وقع بينهم ماوقع من خلاف ربع أبوشادى لذلك وسارع الى التنويه بفضل شكرى باذلاً كل ما فى وسعه لانصاف فنه المغبون (راجع اهداء الاوبرا « الآلهة » وقصيدة النبوغ السجين ، ص ٥٧ من « مختارات وحى العام ») كما عمل على تصفية الجوّ بين شكرى وصاحبيه . ولكنّ شيئاً من ذلك لم يكن له أىّ أثر فى القضاء على عزوف شكرى عن البيئة الأدبية الموبوءة .

وأما خليل شيبوب فقد جمع شعره الجميل فى ديوان أصدره سنة ١٩٢١ ، ولكنه يؤثر الاعتكاف فلم يتعدّ تأثيره الأدب السكندرى ، وعندى أنه فى طليعة الشعراء العصريين المجددين ، وحبذا لو أخرج لنا ديوانه الثانى فتهاونه الحاضر لا يرضى محبيه .

وأما العقاد فقد أصدر طائفة من الدواوين القيمة ، وقد سئم المازنى الشعر (بعد أن أخرج ديوانه وفيه الكثير من جيد الشعر) فتركه وأصلح ما بينه وبين شكرى .

ولكن شكرى بقى مصرّاً على عزلته ، صادفاً عن النشر .

وقد ساير حركة التجديد فى الشعر بل سار فى طليعتها غيرُ واحد من كبار السوريين فى مصر والمتمصرين الذين لهم فضل أدبى عظيم على هذا البلد وفى مقدمتهم السيد مصطفى صادق الرافعى ، ولكنه شُغل عن الشعر المنظوم بالشعر المنثور وبالنقد الأدبى ، وهؤلاء السادة مستثنون بطبيعة الحال من هذه الالمامة التى دعت اليها مناسبات « رسائل النقد » .

ذكرتُ هذه الالمامة التاريخية لأنها وثيقة الصلة بهذا الكتاب القيم الذى أصدره حديثاً الشاعر الناقد الجرىء الدكتور رمزى مفتاح دفاعاً عن أدب شكرى وعبقريته ونقداً لشعر العقاد . وقد نشر الدكتور مفتاح من قبل أمثلةً من هذا النقد ليست غريبة عن قراء (أبولو) ، وربما آخذه بعض القراء على حدّة عبارته ، وربما لا نتفق

معه فى بعض أحكامه، ولكن لا أشك فى أن الجميع سيؤمنون على سعة اطلاعه وثقافته وعلى غيرته الأدبية الخالصة التى دفعته الى كتابة هذا التأليف التاريخى الأدبى الغنى بالدراسات النقدية الممتعة .

وقد جاءت مقدمة الكتاب للأديب الناقد الفاضل جبران سليم شاهدة ببراعته النقدية وسلامة ذوقه ، كما جاءت فصول الكتاب التصويرية والتحليلية رائعة البيان فهى قصة من أغرب القصص بل هى مأساة أدبية مشجية يجهلها كثيرون من الناشئين الذين تدفعهم السياسة الى التصفيق والتهليل وهم لا يدرون من الحقائق التاريخية ولا من القيم الأدبية الصحيحة شيئاً .

وانى بلسان الكثيرين من الأدباء أشكر للدكتور رمزى مفتاح هذه الغيرة النبيلة التى دفعته الى انصاف أدب شكرى ووضع الحقائق التاريخية فى نصابها وبجانب ذلك تُغتفر له حدّته فى بعض نواحى الكتاب ، وما أقلّ مَنْ نشفع لهم الصراحة والاخلاص فى هذه الأيام ؟

محمد عبد الغفور

طيات كثيرة

Polyptcho

رباعيات باليونانية من نظم الشاعر اليونانى أبوستولى لازاريدى ، ٥٢ صفحة بحجم ١٤ × ٢٠ سم . مع بعض مترجمات عن الشعر العربى
مطبعة البطريركية الارثوذكسية اليونانية بالقاهرة
الثمن خمسون مليماً

أصدر هذا الديوان الرشيق الشاعر اليونانى العاطفى أبوستولى لازاريدى وقد صدّره بمقدمة بليغة قال فيها : « آمن أحدُ الشبان مرة بأنه وُلِدَ شاعراً .. تأمّلوا !! .. وبينما كان هو يحدّث الناس عن طبيعته قال إنه آتى من موانىء بعيدة ليهدم شيئاً أو ليبنى ... وكان يعبر عن نفسه ذات الصور العديدة فى دفتره أحياناً وهو جالس على مقعده المدرسى وأحياناً أخرى وهو ساهرٌ الليالى ، وطلب أن يعبر بسطوره الموزونة عن الأحزان النادرة التى كان يجهل مصدرها ، والأفراح المعثرة التى كانت

أبوستولى لازاريدى (بريشته)

تحتضنه فجاءةً ، والتنهدات لشيء فقده أو لم يكن عنده ، والطموح الفسيح كالسماء .. آمن بالاله وبالمحبة ، وعبد الجمال والصِّبا . أراد أن يستوعبَ فى نفسه كلَّ شيء عظيم ، ولكن حديثه كان مقلا مثل تغاريد السّنونو . تلك الأناشيد ـ ذكرها الخيرُ ـ شابهتْ هذه ... »

وعلى سبيل المثال لشعر هذا الديوان نذكر الرباعية الآتية وهى الثانية : «يا ربّ مثلما أحببتُ من الأعماق أريد ان أحَبَّ من الأعماق . وهكذا مثلما تألمت من الاعماق أريد أن يتألموا معى ! » وهذه الرباعية ساحرة الموسيقى فى لغتها الأصلية كما أنّ سذاجتها تحمل فى ذاتها تعمقاً انسانياً .

وهاك مثالاً آخر ، الرباعية الحادية والثلاثين : « بنيتُ بُرجاً وضعتُ داخله أحلامى وأنا مَلكُ الاساطير وعندى المجد والخدم والثروة حولى ، ولكنى أسيرُ فقيراً بين الناس ! »

ونزعةُ الشاعر فى جميع رُباعياته نزعةٌ تصوفيةٌ ، وتبدو الرمزية فى جانب منها والابداع فى غيرها ، وكلها تتطلّع الى مثل أعلى .

وشاعرنا من الادباء اليونانيين القلائل الذين عُنوا بنقل مختارات من الشعر العربي الحديث الى اليونانية نقلاً بديعاً ، ولا عجب فى ذلك فلغته رائعة الموسيقى وآيةٌ فى العذوبة والطلاقة. وقد استقبل أدباء اليونان ديوانه استقبالاً حسناً، وهو جدير بالذيوع بين الادباء المصريين الذين يعرفون اليونانية كما انه جدير بالنقل نظماً الى العربية ما

اغناطيوس فرنلى

ديوان عبد المطلب

نظم المرحوم الشيخ محمد عبدالمطلب ، ٣٢٤ صفحة بحجم ٢٢ × ١٦ سم .
قامت بطبعه ونشره مطبعة الاعتماد ووقف على طبعه رفيق الناظم
وصديقه الشاعر محمد الهراوى وشرحه وصحّحه الأديبان
ابراهيم الابيـارى وعبدالحفيظ شلبى

كان المرحوم الشيخ محمد عبدالمطلب صادق الروح فى شعره ،للبيئة أثرها القوى فيـه ، ولطبيعته يد فى صقل أدبه وإكسابه تلك الروح البدوية التى تشعّ من خلال معظم صحائف ديوانه ، إلا فيما ندر مما كان للأجواء الجـديدة التى كانت تضمه يدٌ فى تحويله .

ففى شعره نسمع الحداء ونـكاد نلمح المطايا وهى تغذّ السير فى البيداء ، ونحس لفحة الرمضاء ونشعر بالجو الغريب علينا الآن والذى نرى صوره فى الأدب القديم. ومن هذه الناحية أراه أقدر من يستطيع تصوير البيداء ، وفى مطلع قصيدته الدالية التى يمدح بها سلطان نجد صورة رائعة للقافلة فى الصحراء إذ يقول :

برقٌ يلوح وسائقٌ يحـدو يا شوقُ هل لك غايةٌ بَعْدُ؟!
ونوًى تشطُّ بنـا منزّحةٌ أنا بالغُوَيْر ودارُهم نجـدُ

أو قوله :

أرى العيس حَسرَى ما بهن ذماءُ فعِدْهنّ سَلما ، إنهنّ ظِماءُ

وهذه الأبيات التى ترينا صورة من البداوة أو ترينا أثر الأدب العربى القديم

بصوره ووأخيلته ممتزجاً بأثر الطبيعة الغالبة على روح الشاعر والتى تتكوّن منها شخصيته التى يتسم بها شعره وتصبغه بصبغة خاصة إذ يقول :

هل خُبِّرَ الركبُ ما بى ليلة اغتربوا ؟ قلبٌ خفوقٌ وجفنٌ دمعه سَرِبُ
بانوا عن الدار لم يرعوْا لها ذمماً ولا قضوْها من التوديع ما يجبُ
لو سلموا يوم راحوا ما أسال جوًى ذوبَ القلوب ولا أذكى الجوى لهبُ
لكنهم صارحونا بالقِلَى ومضَوْا على التجافى فكان البين والسربوا
يا ذائبَ القلب خلف الظاعنين أسًى خفِّضْ عليك فأمر القاطن العجبُ !

وقوله :

اذا هزم الليلُ جيشَ النهارِ ومَدَّ علينا رواق الدُّجى
وهبَّتْ جنوبٌ يمانيةٌ تغنّت عليها غصونُ الرُّبى
ورجع من فوق تلك الغصون حمام الى إلفه قد بكى
ولاحت لعينىَ تلك البروقُ بوادى تهامة والمنحنى
ومرّت تهادى بجاريةٌ لها زفراتٌ ترجُّ العلا
ذكرت ربوعاً لسلمى مضى من العيش فى ظلّها ما مضى

على انى وجدت بين دفتى هذا الديوان أثراً للحياة الجديدة ، أثراً لبدائع القرن العشرين ، أثراً للتجديد العمرانى الذى استلزم أهل الجيل الجديد الى الابتكار فى الأدب حتى لا يقف الأدبُ دون الحياة فيحكم عليه بالموت ، وجدت الشاعر يخاطب الطيارة بهذه الأبيات البديعة :

وقفتْ لكِ الدنيا فسيرى مَسْرَى الضياءِ من الأثيرِ
يا أخت سابحة النجو م وبنت سانحة الضميرِ
مِن عهد آدم لم تَزَلْ عذراءَ مُسْبلة الستورِ
بكراً تقلّبها أكفُّ الغيبِ فى طىّ الدهورِ
حتى جلتها للعيو نِ منصة العهد الأخيرِ

وأجد روحاً كالنسيم رقة وكأصداء النغم العذب فى الأمسيات المقمرة عند ما يصف أم كلثوم فى غنائها وقد أطربته بانشاد قصيدة الشاعر المصرى الرقيق ابن النبيه أبى الحسن كمال الدين على التى يقول فى مطلعها « أفديه إن حفظ الهوى أو ضيعا » وهنا دليل على تأثير الجمال فى ترقيق العواطف وتلوين محيط النفس بألوان جديدة فتانة ، وفيها ينهج نهج بشار بن برد ولكن فى قصيدة عبد المطلب روحاً رقيقة عاطفة فهو يقول :

وقفت فكان على الدُّجى أن يخشعا ... وعلى الحمام الوُرْق أن تتسجعا
وترنحت فكأن أغصان الرُّبى ... تُثنيتْ مُلاناً بالنعيم مشعشعا
تشدو وقد ملك الوفاء فؤادها : ... « أفديه إن حفظ الهوى أو ضيعا »
لحن الى الألباب تبعثه الصَّبا ... فترى القلوب به ذوائب نُزَّعا
عذب يسير مع الحياة الى النهى ... تخذت له فى كل قلب موقعا
كالرَّوح تنبعث النفوس بسرّه ... أو كالحيا جاد الثرى فترعرعا
إذ أنشدت « ملك الفؤاد » سمعت من ... تلقاء قلبك « ما عسى أن أصنعا »
أو رجَّعت « هل فى فؤادك رحمة ؟ » ... خِلتَ النجوم لها خوافق خشَّعا
أو صوّرت معنى الهوى فى لحنها ... كان الغرام لكل نفس مرجعا
ما إن ترى فى الجمع إلا مُوجَعاً ... « ضمَّتْ جوانحه فؤاداً موجَعا »

وفى قصيدته التى يقول فيها :

نُوحى بنات الروض أو فاسمعى ... ما أنتِ بالعانى ولا المُوجَعِ !

تصويرٌ جميلٌ فى قالب قصصى له غرضه ومغزاه استعمل فيه الأسلوب الرمزى على قدرٍ بسيطٍ .

هذه صورة مصغرة عن ديوان عبد المطلب ، ولقد قرأت المقدمة التى قدم بها السيد الهراوى الديوان فعجبت للتحامل الشديد على المدرسة الحديثة واعتبارها خطراً داهماً ! ثم قرأت مقالا عن هذا الديوان بقلم الدكتور حسين الهراوى وفيه مثل هذه النظرة وقرأت بعد ذلك كلمة للسيد عبد الله عفيفى بمناسبة نقده ديوان أبى الوفا « الأعشاب » فسمعت نغمة واحدة من التحامل على الادباء المبتكرين

تتردد دائماً ! فهل لأساتذتي الفضلاء أن يتركوا الابهام والضرب على الوتر الحساس للجمهور ويبينوا لنا ذلك الخطر الداهم الذى يرونه منبعثاً من المدرسة الحديثة ؟ ! وهل هو فى التجديد فى الفكرة ، وذلك واجب علينا بعد أن خرج الشعر من دائرته التى زج فيها بين المدح والقدح والغزل المصطنع ؟ أم هو فى المعانى الجديدة ، وتلك وليدة العصر الذى نعيش فيه وأثر الحضارة والتجاوب العالمى فى شئون الحياة ؟ أم هو فى أسلوبنا وأنا أطالبهم بأن يثبتوا بُعدنا عن العربية الحيّة أو يقولوا لنا أى لغة نكتب نحن بها إن كانت لغتنا غريبة عنهم ؟ أمّا ترجيع هذا النغم المعروف فهذا قد ألفناه ، وما هو الا رمز التحامل والجحود لجهود المبدعين العاملين الذين لا يرضيهم النقل والترديد ويؤثرون قيادة الجمهور بدل متابعته ، والحياة هى التى تحتضن ما يستحق الخلود وتبيد ما يستحق الفناء .

وأما عن قول الدكتور حسين الهراوى من أن القصيدة العربية هى وحدة أدبية متماسكة البنيان مسترسلة الفكرة فكلام لا يثبت على ساقه لأن القصيدة العربية التقليدية هى مجموعة وحدات أدبية يكاد كل بيت يقوم بذاته تجمع القصيدة مختلف الافكار لانها لم تتجه الى فكرة واحدة اللهم إلا مدح الموجّهة اليه أو ذمه أو تأبينه فالشاعر يجتهد إذ ذاك فى حشر أكبر عدد ممكن من الأوصاف التى لا رابطة بينها لتبليغ قصيدته الغاية التى يبتغى من ورائها .

ولكن ما دامت الحياة متشعبة السُّبل وما دامت الحياة متجددة الثياب متغايرة الحال فعلام وضع العراقيل فى سبيل أبنائها اذا أراد فريق منهم أن يشق طريقاً جديداً وفى ميدان الخلق والابتكار متسع للجميع ، والأجيال القادمة خير حكم ؟

ديوان القوصى

شعر وزجل ، تأليف المرحوم الشيخ أحمد محمد القوصى ، ٢٧٠ صفحة بحجم ٢٢½ × ١٥¼ سم . طبع بمطبعة الجلالى بالقاهرة

المرحوم الشيخ محمد أحمد القوصى من شعراء وزجالى آخر عهد الانفصال الأدبى بين حالة الأدب العربى الراهنة وحالته التى كان عليها منذ خمسين سنة .

ولقد أحسن الأديب عبد الرشيد القوصي في جمع منظومات عمه وأزجاله لتكون تأريخاً للأدب في ذلك العصر. وفي هذا الديوان صورة للطابع الذي كان عليه الأدباء إذ ذاك، وصورة للمعاني التي كانت تجول في قرائحهم والأساليب التي كانوا يتخذونها أداء لأفكارهم، واتجاهاتهم الأدبية ونزعاتهم وأغراضهم، إذ كانوا مغرمين بالمحسنات اللفظية والتشطيرات والتأريخ، وكان ذلك سبباً وقوف في الأدب وخاصة الشعر عن التقدم زمناً، كان من جرائها أن ظلّ يوسف الى أيامنا في شيء من هذه القيود لأنه ما يزال من القراء من تشبع بروح ذلك الماضي.

ولقد كان أدباء ذلك العصر معذورين في هذه الأساليب وهذه المعاني وهذه الاتجاهات إذ كان العصر عصر خمود من أثر احتلال أجنبي يعمل على قتل الروح الخافق وعلى سدّ منافذ النور، وكانت ماتزال تسيطر روحٌ تركيةٌ على البلد فكانت معظم التعبيرات تركية أو فارسية وكانت لغة المصالح بعيدة كل البعد عن العربية الخالصة، وكان كل ذلك كافياً لاماتة ملكة الابتكار.

فأنت إذ تقلب دواوين الشعراء في ذلك العهد لا ترى الا تأريخاً لميلاد أو وفاة أو ترقية أو زواج، كأنما أراد الأدباء أن يسدّوا النقص الأدبي في مصالح الحكومة وسجلاتها التي تكتب برطانة غريبة فجعلوا دواوينهم سجلاً أدبياً لحوادث عامة جرّت على الأدب ما جرت. هذا في الشعر، أما في الزجل فقد كانت له حياةٌ جديدة لأننا أكثرت منه وجعلته يتناول موضوعات شتى قريبة الى أفهام الجمهور، وذلك لا يضر الزجل إذ أن لغته هي لغة الشعب بقدر ما تسيء مثل هذه الموضوعات الى الشعر إذ تنزله الى أفهام الشعب، والشعب إذ ذاك على ما نعلم من ضعف وجهل

وفي هذا الديوان نرى روح ناظمه الفكهة اللاذعة النكتة التي تصوّر لنا الروح المصري في مجالسه الخاصة. ومن محاسن معاني هذا الديوان تصوير الشاعر لنفسه في بيئة جاحدة ظالمة وهو يقول:

أصبحتُ فيها مضاعاً ليس لي شرف كأنني مصحفٌ في بيت زنديق!

مجلة الاندلس الجديدة

(عددها الخاص بذكرى داود بركات)

لاخواننا السوريين المهاجرين فى العالم الجديد حماسة قوية نحو القومية الشرقية واعترافهم بالجميل فضيلة فيهم يضرب بها المثل ، ولهم حدب على الادب عظيم يكرمونه ويكرمون أهله ومن يمتون اليه ، فلقد بلغت حفلات التأبين التى أقاموها لذكرى فوزى المعلوف وجبران خليل جبران مبلغاً من العظمة ، وكانت حفلة التأبين التى أقاموها لذكرى حافظ وشوقى عظيمة قوية المظهر على نحو ما فصّل فى ملحق شهر فبراير سنة ١٩٣٤ من هذه المجلة ، ولقد وافانا البريد الأميركى بعدد خاص من مجلة « الاندلس الجديدة » اكراماً لروح فقيد الصحافة العربية داود بركات يصف تلك الحفلة التى أقامتها الجالية السورية فى النادى الفينيقى بمدينة ريودى جانيرو عاصمة البرازيل التى بلغت من العظمة ما جعلها الحفلة الأولى فى مظهرها الفخم . وافتتح الحفلة رئيس ذلك النادى السيد عقل الجرّ فشكر للحاضرين مشاركتهم بشعورهم الحىّ أعضاء النادى وتنحى عن رئاسة الحفلة الى الدكتور حبيب اسطفان معتذراً بصلتى القربى والمنبت اللتين تربطانه بالفقيد ، وطلب أن يكون آخر المتكلمين ليشكر لهم عطفهم وشعورهم السامى ، وعلى أثر ذلك وقف الدكتور حبيب اسطفان فعدّد مآثر الفقيد بعد أن ذكر عظمة لبنان فى ماضيه وما آل اليه الآن .

ثم وقف السيد شفيق معلوف فألقى قصيدة رائعة ككل شعره ، استهلها بهذه الأبيات :

نعىٌ بمصرٍ كلَّ يوم ومأتمُ ... فهل مصرُ شطٌّ للخطوب ومَلطمُ ؟
عروسة وادى النيل ما لك حيلةٌ ... تعلّين ما تبنين والدهر يهدمُ
سألتكِ هل داودُ إلا مهندٌ ... تألّقهُ فى طلعةِ المجدِ مَبسمُ ؟
هدية لبنان اليكِ ، وانها ... لأثمن ما يهدى اليك وأكرمُ
أيادى على لبنان للجارة التى ... نكنُّ لها فى الصدر ما الله يعلمُ
اذا ما احتوى لبنانَ حرٌّ مُشَرَّدٌ ... تجاذبه من مصر كفٌّ ومعصمُ
ونطلق فى الجو النسور فتغتدى ... وليس لها إلا المقطم مجثمُ

هو الجبل العالى الذى منه أشرفوا فهلل قبطىٌّ وكبّر مسلم
مَنابرُهم أهرامُ مصر ، وصوتهم أعاصيرها ، والحقّ لا غيره الفمُ
تهاوَوْا بصحراء الصعيد فلفهم قتامٌ وحياهم يراعٌ منلمُ

ثم قام السيد طانيوس أبو ياغى ملقياً بالنيابة عن يوسف افندى ناصيف صاحب جريدة « البريد » خطبته ووقف بعده السيد يوسف أبوليسينى صاحب مجلة « الفانوس » فألقى كلمة طيبة ضمنها أقوال مشاهير الأدب فى الفقيد ثم ناب عن الشيخ فائز السمعانى فى إلقاء قصيدته العصماء وألقى بعده السيد داود سعادة خطبة جامعة ، ثم وقف نسيب الفقيد السيد عقل الجرّ رئيس النادى فالقى قصيدته الرائعة بين الدموع والحسرات منذكراً أيامه الهنيئة الى جانب الفقيد فى مصر وفى يحشوش موطنهما ، وفى مطلعها يقول :

أصبّرُ عنك القلبَ والقلبُ فى وجدٍ وأجزرُ فيكَ الدمعَ والدمع فى مد
اذا ما سهامُ الخطب كنّ دواميا فكلٌّ اتقاه بعد ذلك لا يجدى

ومنها :

أحنّ حنين الطير فارق وكره الى ساعةٍ من عيشنا الغابر الرغد
رعى الله أياماً بمصر قديمة وردت بها فى قربكم أطيب الوردَ
فللت أرجيها على طيلة النوى وأمنعها صبرى ، وأمنحها سهدى
وقد كنت أشكو البين والبحر بيننا فكيف وهذا البين ليس بذى حَدّ ؟!

ثم وقف السيد شكر الله الجرّ صاحب مجلة « الأندلس الجديدة » فألقى قصيدته الرائعة « بنفسجة الوادى » التى تعتبر من روائع الشعر العربى الجديد غمس فيها الشاعر ريشته من ألوان الطبيعة ورسمها على القرطاس ناطقة ، وفيها يخاطب منبت الفقيد « وادى يحشوش » قائلاً :

وادي العباقرة الكبارْ قُلْ للربيع : قضى الهزارْ !
فاخلع برودَ العيد وانـــزع عنك تيجان الفخارْ
واعصبْ جبينك بالسوا د فلا كؤوس ولا عقارْ
قل للرفاق : قضى النديـمُ فلن تشعّ ولن تدارْ !

لله ليـــلاتٌ قضيناها على الوادى قصارْ
كأس يزهزهُ بالاقا حِ وآخرٌ بالجلّنارْ
وعشية لبستْ شفو فَ اللازوردِ على بهارْ
والطيرُ مثل العانس الثر ثارِ ليس له قرارْ
ومَراشفُ الشفق المدمّى تلتظى نوراً ونارْ
والنهرُ يرشف حولنا زَبداً كمنتثرِ النضارْ
والشمسُ عند مَدارج الأفقِ البعيدِ بها اصفرارْ
والبدرُ ممسوحُ الجبيـــن على محياه اغبرارْ
وكأننا من حول داوودِ تلا مذة صغارْ
وفتى النُّهى يُزجى الكلا مَ مسلسلاً حول السرارْ
هَشُّ الملامح طَلْقُها عفُّ الدعابِ على وقارْ
فى جدّهِ عظةُ الحكيمِ وفى فكاهته ابتكارْ
وعلى الحديث السحر كم حسدَ الدجى سمعُ النهارْ

فنشكر لاخواننا أبناء العربية فى المهجر تقديرهم لرجالها وعواطفهم نحو اخوانهم، ونمجّد فيهم هذا الشعور الذى لم يزده بعدُ المزار الا تألّقاً وحدّة.

ادباء العرب فى الأعصر العباسية

(حياتهم — آثارهم — نقد آثارهم)

تأليف بطرس البستانى منشىء جريدة «البيان» — الجزء الثانى — ٤٧٨ صفحة بحجم ٢٣ × ١٦ سم. اخراج مكتبة صادر وطبع المطبعة البولسية، حريصا (لبنان)

أصبحت مكتبة صادر من المكتبات التى تنفح الخزانة العربية كل يوم بالعطر الشذى من زهرات الآداب والعلوم واشتهرت مطبوعاتها بالأناقة والدقة فى الطبع. وآخر ما طالعناه من مطبوعاتها ذلك الكتاب الذى لم يتح لنا الحظ الاطلاع على

الجزء الأول منه ، فأما الجزء الثانى فيشمل خصائص آداب العباسيين وعلومهم وميزات شعرائهم وكتابهم وطائفة حسنة من منظومهم ومنثورهم .

وهذا الكتاب الذى يشهد لمؤلفه الفاضل بالجهد العظيم الذى بُذل فيه لهو من أحسن الكتب الأدبية التى تجمع الى دقة البحث حسن الترتيب. ولقد قسم المؤلف العهد العباسى الى أربعة عصور يبتدىء الأول منها بقيام الدولة العباسية وينتهى بخلافة المتوكل على الله ، أتى فيه بلمحة تاريخية عن أسباب سقوط الأمويين ونهوض العباسين وبين ميزة هذا العصر وهى : النفوذ الفارسى ، حرية الفكر ، التساهل الدينى ، مصلحة المملكة . ونحن يهمنا فى هذه المجلة النظر الى الشعر فى ذلك العصر فالمؤلف يتكلم عن ميزة الشعر إذ ذاك فيقول « لم يكن انتقال الشعر من البداوة الى الحضارة مرهوناً بانتقال الخلافة الى دمشق وفيها القصور والجنائن والانهار وفيها أثر كبير من حضارة الرومان . ولكن العصر الأموى كان عصر حروب وفتن فلم يهدأ هادئه ، ولم يطل عهده فيبلغ أهلوه غايتهم من الترف والعمران ، أضف الى ذلك أن خلفاء بنى أمية كانوا على تحضّرهم ينزعون الى الحياة البدوية ويؤثرون العرب الخلّص على غيرهم من الشعوب ويتاحون الى أساليب الجاهليين وطرقهم » .

ثم انتقل الى الكلام عنه بعد أن استقر للعباسيين الأمر وانصرفوا الى الحياة يتذوّقون نعيمها والشعر نعيم الحياة فقربوا الشعراء وجعلوهم ندماءهم تلذذاً بأدبهم وكان ذلك سبباً فى رفاهية الشعر فرقت طباعهم ورقّ شعرهم ولانت ألفاظه فجددوا فى الألفاظ والمعانى .

وأعطانا المؤلف صورةً للصراع بين أنصار القديم الذين يريدون ابقاء كل شىء على حاله وبين المجدّدين الذين أرادوا مماشاة العصر مما يعزينا فى صدماتنا الآن ، ثم تكلم عن أغراض الشعر وفنونه التى تعددت فى هذا العصر وتنوعت بتنوع أسباب الحضارة وأفرد لكل غرض كما أفرد لمشاهير شعراء ذلك العصر فصلا على غاية من الدقة فى البحث والمناقشة .

ثم انتقل الى العصر الثانى الذى يبتدىء بخلافة المتوكل على الله وينتهى بقيام الدولة البويهية واستقلالها بالسلطان . ولقد كان هذا العصر عصر ضعف وانحلال استولى عليه نفوذ الاتراك ولم يكونوا أهل حضارة وعرفان حتى يحملوا معهم الى العربية علومهم وآدابهم فيجعلوا فيها أثراً بيناً كما جعل الفرس من قبل ، ويرى أن

هذا العصر لا يختلف عن الاول فى أشياء تميز الأول عليه لان شعراءه اشتركوا مع من سبقهم فى أغراضهم إلا أن شعراء العصر الثانى كانوا قليلين ولم يظهر منهم إلا البحترى وابن الرومى وابن المعتز ، والمؤلف يميل الى رأى الآمدى فى أن هذا العصر قد كثر فيه الشعراء ولكن البحترى أخمل ذكرهم بعبقريته .

ثم انتقل الى العصر الثالث وهو يبتدىء بقيام الدولة البويهية واستقلالها بالسلطان ، وينتهى بسقوط بغداد فى أيدى السلاجقة . وكانت ميزة الشعر فيه انه « اصطبغ بألوان جديدة مازته بخصائصها ، وانبعثت فيه فنون كادت تضمحل وتنسى ، واستقلت أبواب كانت تابعة لغيرها . فاما ما استجد به فالشعر الفلسفى والصوفى . وأما ما انبعث حياً فالفخر والحماسة . وأما ما استقل فالدهريات والزهريات والاخوانيات والهزليات » . وتكلم عن كل منها وانتقل الى الكلام عن لغة الشعر فذكر أن شعراء العراق ضعف شعرهم من تغلب العناصر الفارسية والتركية على أهله الا بغداد فان شعراءها احتفظوا ببلاغتهم ، كذلك شعراء الشام فقد بقيت لهم ملكة البلاغة . أما فى مصر وهو يرى انها لم تكن موطناً للشعر قديماً وان كل ما رنّ فى ارجائها إن هو الا لشعراء غرباء قصدوها (وهنا لم يعتبر أبا تمام شاعراً مصرياً لأنه شامىّ الأصل ولأن ثقافته الشعرية قامت بين العراق والشام) حتى قامت الدولة الفاطمية فأقبل الشعراء على مصر وكثر عددهم ولكنهم لم يبلغوا نبوغ أهل الشام لقلة بضاعتهم وقرب عهدهم بالشعر وضعف ثقافتهم العلمية حيث انتشرت الفلسفة والعلوم فى العراق والشام قبل أن تدخل مصر .

وتكلم عن شاعرين من شعراء هذا العصر وهما المتنبى وأبو فراس ، وحسب هذا العصر فخراً أن يخلق فيه المتنبى فخر العربية .

فأما العصر الرابع وهو الذى يبتدىء بدخول السلاجقة بغداد وينتهى باستيلاء هولاكو عليها وانتقال الخلافة العباسية الى مصر فيرى المؤلف أن اغراض الشعر وفنونه لم تبتذل فيه فتجعل له ميزة جديدة وانما حدث شىء من التطور فى بعضها فيما وقوى كالشعر الصوفى ، واتسع باب الشكوى لكساد سوق الشعر ومالت لغته الى اللين وأمعن الشعراء فى الصناعة فكثر التكلف . وفى هذا العصر دخلت الموشحات الأندلسية الى الشرق ولم يبلغ شعراء هذا العصر درجة يعدّون فيها من الفحول .

هذه صور سريعة عما يخصّ الشعر فى هذا الكتاب القيم ننتظر من ورائها فى الجزء الثالث ما نهيء عليه مؤلفه الفاضل ، ولعلنا نتمكن من نقد الجزء الأول فى المستقبل .

الملاح التائه

نظم على محمود طه المهندس — ١٥٨ صفحة بحجم ١٣¼ × ١٩ سم.
طبع بمطبعة الاعتماد بالقاهرة

أول ما يلاحظ فى شعر على محمود طه تلك الهندسة اللفظية التى تنتظم فى حدودها المعانى الشعرية ؛ وعلى محمود طه شاعر وصّاف تبدو الهندسة فى كل ما يصوّر لنا من مناظر فنجد بين ألوانه تآلفاً وامتزاجاً كما نجد تقارباً ووحدة .

فالطبيعة فى شعره لها المحل الأول ، غير أنه يسكب على صوره دائماً مسحة التأمّل والسهوم ، فقلّ أن تجد فى ديوانه صوراً للطبيعة المرحة الزاهية ؛ ولكن تجده يصور لك الليل لأن فى الليل صمتاً وراحة تبعثان على التفكير والتأمل ، فاذا أراد أن يرسم منظراً فى نهاره أعطانا فيه صورته وحيداً شريداً ساهماً ، ولذلك تراه يعمد الى تصوير البحر أو تصوير القطب . وقصيدته التى يصوّر فيها مخدع مغنيه بهذه الأبيات :

شاع فى جوّه الخيالُ ورفّ الـ ـحسنُ والسحرُ والهوى والمراحُ
ونسيمٌ معطر خفقت فيـ ـه قلوبٌ ورفرفتْ أرواحُ
ومُنى كلهنّ أجنحةٌ تهفـ ـو ودنيا بها يدفّ جناحُ
ومن الزهر حولها حلقاتٌ طاب منها الشذا ورقّ النفاحُ
حُملت كل باقة دمع مفتـــون كما تحمل الندى الأرواحُ

تدلّ على أن روح شاعرنا تميل الى الوحدة والعزلة فهو فى هذا المخدع يدخل فيلسوفا ويخرج منه فيلسوفاً فاذا الفلسفة تسكب على صوره لوناً من ألوان التأمل الحزين وهذا هو ما نجده فى قصيدة « قبله » حيث يقول :

رُبَّ ليل مرّ أفنيناه ضماً وعناقا
وأدرنا من حديث الحب خمراً نتساقى

فى طريق ضرب الزهرُ حواليه نطاقا
وتجلى البدرُ فيه وصفا الجوُّ وراقا

« • »

ولزمنا الصمتَ إلا نظراتٍ تتكلمْ
وشفاهاً عن جراح القلب راحت تتبسمْ
صحتِ لى رعباً وما راعك قلبٌ يتحطمْ
نبأتنى النفسُ بالبين غداً والنفس تُلهمْ

هذا التفكير وهذه المخاوف النفسية البعيدة القرار فى نفس الشاعر هى التى بعثت اليه وحى قصيدته « الله والشاعر » وفيها يهتف :

يا ضلة الشاعر أين النجاهْ وأين أين المنزل الآمنُ ؟
أكلُّ وادٍ تركته خطاهْ طالعه منه الردى الكامنُ ؟

ولهذا وجد فى هذه القصيدة مجالاً لتأملاته وتفكيره فأطلق لهما العنان ووقف ينظر الى العالم الارضىّ نظرة المتصوّف الحائر .

ولهذا نراه أيضاً فى قصيدة « غرفة الشاعر » يعطينا صورة جميلة للشاعر فى قصيدته فهو يفرُّ من العالم الضاحك الى غرفته الصامتة وفى هذه القصيدة تصوير رائع ووصف دقيق حيث يقول :

أيها الشاعرُ الكئيبُ مضى اللي لُ وما زلتَ غارقاً فى شجونكْ
مسلماً رأسك الحزين الى الفكـ ر ، وللسهد ذابلات جفونكْ
ويدٌ تُمسك اليراعَ وأخرى فى ارتعاشٍ تمرّ فوق جبينكْ
وفمٌ ناضبٌ به خرَّ أنفا سك يطغى على ضعيف أنينكْ
لست تصغى لعاصف الرعد فى اللي ل ولا يزدهيك فى الابراقِ
قد تمشّى خلال غرفتك الصمـ تُ ودبّ السكون فى الاعماقِ
غير هذا السراج فى ضوئه الشا حب يهفو عليك من اشفاقِ
وبقايا النيران فى الموقدِ الذا بلِ تحكى الحياة فى الأرماقِ

وهى تذكرنى بصورة فنية رائعة بريشة الرسام بيرانجيه اسمها « الحب والفن» تمثل الشاعر فى هدوئه يستقبل أخيلته فى غرفة صامتة ساكنة ولكنه الصمت الناطق والسكون المترنم .

وانى أرى أن هذا الجوّ الذى أشارك صديقى الشاعر الحياة فيه ، جوّ التأمل والتفكير وخلقها من البسيط الساذج ، هو أجمل الاجواء التى ترفرف فيها أجنحة الشعر ، والشعر الذى يبث من هذه الناحية هو الذى تجد عنده النفس راحة وطمأنينة بعد رحلاتها المضنية فى أودية العاطفة المرحة والحياة الفاتنة المتحركة اللعوب ؟

حسن كامل الصيرفى

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦١٣	٩	فدرات	فدارت
٧٤١	٧	الرواية	الراوية
٧٤٢	١٩	واتنوّع	وتنوّع
٧٤٤	٢٦	هذّ	هذا
٧٥٠	٢٥	والنقد التأبى	النقد والتأبى
٧٥٢	١	الا خر	الآخر
٨٥٨	١٨	قدر	أقدر
٨٥٨	٢٤	فأفبل	فأقبل
٧٧١	٣	مسضعفة	مستضعفة
٧٧٢	٥	مسموح	مسوح
٧٧٢	٥	فيها طمع	فيها فيما طمع
٧٧٣	١٤	مره	شره
٧٧٦	١٨	يملؤوا	يملأوا
٨٠٩	١٣	ببالى	يبالى
٨٠٩	٢٢	تحوب	تجوب
٨١٧	٤	شد	شديد
٨٢٦	٧	بأن	بان
٨٢٩	١	صبرء	صبر
٨٣٧	٩	النداء	الندماء
٨٣٩	٤	منزّله	منزله
٨٤٢	٢	الأنات	الأيّات
٨٦٤	١٠	الخُضُرة	الخُضْرة
٨٧٩	١	ووأخيلته	وأخيلته
٨٨١	١٠	يسحتق	يستحق